من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون أي فصلنا ما بين السماء والأرض حتى هبت الرياح ونزلت الأمطار وجرت العيون والأنهار وانتعش الحيوان ثم قال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون أي عما خلق فيها من الكواكب الثوابت والسيارات والنجوم الزاهرات والأجرام النيرات وما في ذلك من الدلالات على حكمة خالق الأرض والسموات كما قال تعالى وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم باﷲ إلا وهم مشركون فأما قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض فخالفوا صريح الآيتين المتقدمتين ولم يفهموا هذه الآية الكريمة فإن مقتضى هذه الآية أن دحى الأرض وإخراج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خلق السماء وقد كان ذلك مقدرا فيها بالقوة كما قال تعالى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها أي هيأ أماكن الزرع ومواضع العيون والأنهار ثم لما أكمل خلق صورة العالم السفلي والعلوي دحى الأرض فأخرج منها ما كان مودعا فيها فخرجت العيون وجرت الأنهار ونبت الزرع والثمار ولهذا فسر الدحى بإخراج الماء والمرعى منها وإرساء الجبال فقال والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها وقوله والجبال أرساها أي قررها في أماكنها التي وضعها فيها وثبتها وأكدها وأطدها وقوله والسماء بنيناها بايد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون بايد أي بقوة وأنا لموسعون وذلك أن كل ما علا اتسع فكل سماء أعلى من التي تحتها فهي أوسع منها ولهذا كان الكرسي أعلى من السموات وهو أوسع منهن كلهن والعرش أعظم من ذلك كله بكثير وقوله بعد هذا والأرض فرشناها أي بسطناها وجعلناها مهدا أي قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائدة بكم ولهذا قال فنعم الماهدون والواو لا تقتضي الترتيب في الوقوع وإنما يقتضي الإخبار المطلق في اللغة واﷲ أعلم .

وقال البخاري حدثنا عمر بن جعفر بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي A وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال أقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول اﷲ قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر قال كان اﷲ ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض فنادى مناد ذهبت ناقتك

يا ابن الحصين فانطلقت فإذا هي تقطع دونها السراب فوا لوددت أني كنت تركتها هكذا رواه هاهنا وقد رواه في كتاب المغازي